Al-Mufja' Al-Basri (d. 327 AH) among his ancient and modern critics

Mr. Dr. Hussein Lafta Hafez
University of Kufa / Kufa Studies Center
E-mail: hussen.haafed@uokufa.edu.iq

Assist lecturer Nyan Hussein Abdullah
University of Kufa / College of Dentistry
E-mail: Niyanh.alshimary@uokufa.edu.iq

Abstract:

Our literary heritage is filled with many important figures who have enriched the literary and critical arena with the valuable books and information they left behind that have benefited generations and throughout the ages. Al-Majar Al-Basri is one of those notables whose contemporaries among the scholars testified to the soundness of his mind and the importance of the sciences with which he wrote, and translation scholars spoke about The status of this personality is through the use of his knowledge by linguists as well as his encyclopedismCognitivism was classified in many sections, and he left us a collection of poetry. His poetry was distinguished by its abundance that made him feel sad for the People of the House, peace be upon them. Studies that dealt with this personality revealed that he was a poet of the faith and that his best poems fell under the framework of committed literature, which was harnessed to serve the poet's belief and loyalty. His love for the people of the House of Prophethood, may God's peace be upon them, and this scholar, poet, and critic is one of the prides of the scholars of Basra. He was a student of its greatest scholars, in addition to the fact that he had lived with the imams of the scholars of Basra at that time. The research is an attempt to uncover the impact of this personality in ancient and modern studies. And God is my Protector. Good luck.

Key words :The visual shocker, ancient critical studies, modern critical studies.

المفجَّع البصري(ت٣٢٧هـ) بين ناقديه قديما وحديثا

أ.د. حسين لفته حافظ
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة
E-mail: hussen.haafed@uokufa.edu.iq

م.م. نيان حسين عبدالله
جامعة الكوفة / كلية طب الاسنان
E-mail: Niyanh.alshimary@uokufa.edu.iq

الملخص:

حفل تراثنا الادبي بالكثير من الشخصيات المهمة التي اغنت الساحة الادبية والنقدية بما تركته من مؤلفات ومعلومات قيمة استفادت منها الاجيال وعلى مر العصور ، والمفجع البصري واحد من هؤلاء الاعلام الذي شهد له من عاصره من العلماء برجاحة عقله واهمية العلوم التي صنف بها ، وتحدث علماء الترجمة عن منزلة هذه الشخصية من خلال استعانة اصحاب اللغة بخزينه المعرفي فضلا عن موسوعيته المعرفية فقد صنف في ابواب كثيرة ، وترك لنا ديوانا من الشعر ، وقد امتازت اشعاره بكثرة تفجعه على اهل البيت عليهم السلام ، وكشفت الدراسات التي تناولت تلك الشخصية انه شاعر من شعراء العقيدة وان اعلب قصائده تندرج تحت اطار الادب الملتزم ، الذي سخر لخدمة معتقد الشاعر وولائه وحبه لاهل بيت النبوة سلام الله عليهم ، وان هذا العالم الشاعر الناقد مفخرة من مفاخر علماء البصرة ،فقد تلمذ على يد كبار علمائها فضلا عن كونه قد عاصر أئمة علماء البصرة في ذلك الوقت ، والبحث محاولة لكشف اثر هذه الشخصية في الدراسات القديمة والحديثة ، والله ولي التوفيق .

الكلمات المفتاحية : المفجَّع البصري ، الدراسات النقدية القديمة ، الدراسات النقدية الحديثة.

المقدمة :

فقد تعرض الشعراء الذين سخّروا شعرهم للدفاع عن اهل البيت(عليهم السلام) واظهار مناقبهم الى العديد من الهجمات الشرسة من قبل اعداء اهل البيت ومناوئيهم من الخصوم وكانت ضريبة ولاء اهل البيت ان يحارب الشاعر ويُضييق عليه حتى يصل الامر الى التصفية الجسدية ، ويعد المفجع البصري من الشعراء المخلصين لعقيدتهم فقد افنى الشاعر حياته في سبيل خدمة العقيدة والدفاع عن مذهب اهل البيت عليهم السلام وكان اغلب شعره يتناول ولائه لمذهبه والتغني بحب اهل البيت(عليهم السلام) ونشر فضائلهم من خلال قصائده التي كتبها في هذا المجال وكانت تلك القصائد محل تجاذب واخذ وعطاء بين الدارسين قديما وحديثا ، فضلا عن هذا تباين النقاد قديما في موقفهم من جودة شعرة بين مادح وقادح ، وامتد الامر الى العصر الحديث فنجد دراسات اكاديمية مهمة تناولت الشاعر بالدراسة والتحليل ، من هنا توزعت الدراسة الى مباحث تناولت شيء من حياة الشاعر ، واراء العلماء القدامى في شعره وجهود الشاعر في مجال بيان المعاني الشعرية ومنزلة الشاعر في الدرس النقدي الحديث ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الدراسة استفادت من دراسات عديدة منها الدراسات النقدية والادبية القديمة وكذلك الدراسات الحديثة كذلك استفادت الدراسة من الابحاث والمقالات المنشورة في المواقع العلميّة الرصينة ، وقد توصلت الدراسة الى مجموعة نتائج علمية تخص الشاعر المفجع ومنزلته بين القدامى والمحدثين .

اهداف الدراسة :

لعل من اهم الاهداف العلمية التي تريد هذه الدراسة تحقيقها هي بيان منزلة الشاعر المفجّع البصري لدى النقاد القدامى والمحدثين ومحاولة الموازنة بين الآراء القديمة التي قيلت بحقّه ومعرفة اهم المحاور التي تناولتها تلك الآراء من خلال بيان القضايا النقدية التي تمركزت حولها لغرض كشف الغموض واللبس الذي دار حول ديوان الشاعر ومحاولة الدفاع عن الشاعر وانصافه من خلال تحليل تلك الآراء ، فقد كان للشاعر دور مهم في بيان معاني الشعر فضلا عن معرفة اسماء الاماكن المغمورة وهي مسالة شهد له بها معاصروه من العلماء القدامى ، وهي قضية تحسب للشاعر لأنه ساهم في حفظ التراث من الاندثار وهذا الامر ينم عن خبرة كبيرة في مجال اللغة والاسماء الدالة عليها ، اما في محور الدراسات الحديثة فقد هدف البحث الى الوقوف على الجماليات الشعرية التي اشتملت عليها القصائد الشعرية ولا سيما قصيدة الشاعر المعروفة بـ (الاشباه) والتي حوت المعاني الاخلاقية السامية التي اتصف بها الامام علي (عليه السلام) فقد بقيت تلك القصيدة تراثا خالدا لأنها ارتبطت باسم الشخصية العظيمة شخصية الامام علي (عليه السلام) وقد وجد فيها الدارسون المحدثون ضالتهم لأنها غنية بمعانيها الشعرية وماحوته من صور فنية .

اهميّة الدراسة :

اما عن اهمية الدراسة فتاتي من ارتباطها بشاعر بصري ترك لنا تراثا مليئا بالمعاني اللغوية والشعرية، استفاد منها القدامى والمحدثون ، ومنها شرح وتفسير المعاني اللغوية الغامضة التي ذكرها العلماء والتي استفادوها من خلال شروح المفجع البصري والوقوف على قضايا التصحيف والتحريف الذي وقع فيه شراح الدواوين الشعرية واثر ذلك على فهم المعاني فكثيرا ما كان المفجع يصوب لأصحاب الادب الاخطاء التي يقعون بها عند تعرضهم للشعر وانشاده ، كذلك اهتمت الدراسة بموضوع الاغراض الشعرية وبيان اجادة الشاعر فيها لاسيما غرض الوصف الذي تميز به المفجع وقد شهد له القدامى بهذه الاجادة والدراسة تحاول بيان موضع تلك الاجادة ومنزلتها في تطور المعاني الشعرية ، ومحاولة وضع الشاعر في المنزلة التي يستحقها .

اسئلة البحث :

يحاول البحث الاجابة عن مجموعة من الاسئلة التي تخص الشاعر المفجع البصري وموقف الدارسين منه ومنها :

بيان سبب اختلاف النقاد القدامى في منزلة المفجع البصري والبحث عن الاسباب التي تقف وراء دراسة الشاعر وما هو اثر السياسة على ادب الشاعر ، وهل كان لمعتقد الشاعر وموالاته لأهل البيت اثر في بيان مسيرته الادبية عند الدارسين وكيف نظر الدارسون المحدثون الى ديوان الشاعر وما هو الفارق بين القدامى والمحدثين ، فضلا عن هذا يحاول البحث الاجابة عن مسالة اثر شعر الشاعر في تطور قضية الموازنة الادبية قديما وحديثا .

منهج الدراسة :

اما عن منهج الدراسة فقد اتبع البحث فيها المنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع الآراء القديمة التي وردت في كتب التراث الادبي والتي تناولت شخصيّة المفجع البصري وتقسيم تلك الآراء بحسب القضايا النقدية التي تناولت ، ومن ثم تحليل تلك الآراء لمعرفة طبيعة الاثر الذي تركه الشاعر ، والوقوف على اثر شعر الشاعر لدى الدارسين المحدثين الذين تناولوا الجوانب الفنية والموضوعية في ديوان الشاعر.

خلفيّة البحث :

نظرا لما تمتعت به شخصية المفجع البصري من نتاج ادبي ثر وغني فقد كانت محط انظار الدراسين الذين تناولوه بدراسات علمية واكاديمية سبقت هذا البحث ونذكر منها دراسة الباحث عبد الرسول الغفار والتي تحمل عنوان (شاعر العقيدة المفجع البصري) والتي طبعت في لبنان سنة ١٩٨٥م وقد اشتملت على ترجمة حياة الشاعر ، وهناك دراسة اخرى قام بها الباحثان الدكتور محمد حسين المهداوي والدكتور

حسن حبيب والموسومة بـ(اثر القرآن الكريم في شعر المفجّع البصري)التي تناولت الاثر القرآني في لغة الشاعر المتمثل بدراسة اثر المفردة القرآني لينتقل البحث لدراسة اثر القصص القرآني في ديوان الشاعر ، وكذلك دراسة الدكتور حسين الوطيفي التي حملت عنوان (قصيدة الاشباه للشاعر المفجّع البصري دراسة تحليلية) وقد تركزت هذه الدراسة على تناول قصيدة واحدة من ديوان الشاعر وهي المعروفة بالأشباه التي درسها الباحث وفق منهج تحليلي للخصائص الفنية التي اشتملت عليها ، واخيرا هناك دراسة اخرى قام بها الدكتور كاظم عبد الله وحملت عنوان (اوجه الشبه بين الامام علي عليه السلام والانبياء في قصيدة الاشباه للمفجع البصري دراسة في ضوء التماسك النصي)، فضلا عن وجود مقالات نشرت في المجلات والصحف الدورية ومنها المقالة الموسومة بـ(المفجّع البصري ... شاعر البصرة وأديبها) .

خطّة الدراسة :

اما عن خطة الدراسة فقد قسمت الى تمهيد تناولنا فيه شخصية المفجع البصري من خلال الرجوع الى التراجم القديمة والحديثة التي تعرضت لتلك الشخصية بالتحليل والنقد ، والدفاع عنه لأنه تعرض الى مؤاخذات من قبل السلطة القائمة آنذاك بسبب ولائه لأهل البيت ،وبعدها جاء المبحث الاول ليدرس موقف النقاد القدامى من جهود المفجع البصري ونتاجه الادبي ،ومن ثم المبحث الثاني يتناول موقف الدارسين المحدثين من شعر المفجع البصري ، وبعد ذلك اختتم البحث بخلاصة ذكرنا فيها اهم النتائج التي وصلنا اليها ، ومن الجدير بالذكر ان مصادر الدراسة قد تنوعت بين كتب التراجم والموسوعات الادبية القديمة من كتب الادب فضلا عن المعاجم اللغوية والدراسات البلاغية والنقدية الحديثة .

التمهيد :

نبذة تعريفية عن حياة المفجع البصري

هو محمد بن أحمد بن عبيد الله الكاتب ، المعروف بالمفجع ، ويكنى أبا عبد الله ذكره ابن النديم فقال: إنه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره وكان شاعراً شيعياً ، وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها علياً (عليه السلام) ، وبينه وبين ابن دريد مهاجاة . وذكره أبو المنصور الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال: المفجع البصري صاحب ابن دريد والقائم مقامه في التأليف والإملاء ([1])

لقد كان المفجع اديبا بارعا وصاحب موهبة شعريّة فضلا عن معرفته الكبيرة باللغة وقد لقّب بالمفجع لشدّة تفجعه على اهل البيت وما اصابهم من مصائب ، واشار الشاعر الى ذلك بقوله :

ان كان قيل لي المفجَّع نبزا فلعمري انا المفجَّع هما([2])

ولاحظ بعض الدارسين انّ هذا البيت للشاعر المفجّع يعطي صورة واضحة لحالته النفسية والاجتماعيّة، فهو يعيش حالة مستديمة من التفجّع بينما لا يدرك من (ينبّز) هذا اللقب عليه ، الحالة التي

كان يعيشها ، فحياة شاعر أهل البيت (عليهم السلام) المفجّع البصري هي عبارة عن رحلة شاقة مع الألم والمعاناة ، وشأنه شأن الكثيرين من شعراء أهل البيت في وقوفهم إلى جانب الحق وتصدّيهم للسلطات الجائرة حتى اختتمت حياته بالشهادة، لكن الذي ميّز هذا الشاعر هو الغبن الذي لاقاه في حياته وبعد مماته فقد سلبته يد الكتّاب والمؤرخين والمحرّفين حتى لقبه الذي صنعه بولائه وعقيدته فحاولوا تحريفه ([٣]).

فالشاعر قد دفع ضريبة حبّه لأهل البيت وانعكست على مسيرة حياته والتراجم التي كتبت عنه لأنها لم تعطه حقّه ولم تكشف عن منزلته الكبيرة بين اقرانه " بسبب من ان التعصب للبيت العباسي كان قد بلغ ذروته في القرن الثالث واوائل القرن الرابع الهجريين ، وان ملاحقة العلويين ومن تشيع لهم وناصرهم كان من الامور التي تشغل بال الخليفة وتقض مضجعه "([٤]) وربما هذا الامر يبين لنا سبب ضياع اكثر شعره ، الا انه وعلى الرغم من موقف السلطة الحاكمة آنذاك الا ان المفجع حضي بمنزلة كبيرة تشهد بها تراجم العلماء المنصفين الذين كتبوا عنه وبينوا ان الشاعر نشأ وترعرع في البصرة وفيها قضى حياته ومن هنا عرف بالبصري ([٥])

عاصر وتتلمذ المفجع البصري على يد كبار علماء النحو واللغة في عصره ومنهم ثعلب الكوفي ، وابن دريد ، وسليمان البغدادي ، والريّاشي وغيرهم من أئمة النحو ، اما عن اهم الاعلام الذين استفادوا ودرسوا على يده حتى صاروا من أعلام الأدب العربي الكبار نذكر منهم ابن خالوية والامدي والخبز ارزي والوراق وابن لنكك البصري والحسن بن سهل وغيرهم ([٦])

اما عن اهم مؤلفاته فقد ذكر العلماء ان المفجع البصري كان غزير النتاج العلمي وان مؤلفاته قد تنوعت في مختلف العلوم حتى ذكروا من تلك المؤلفات : المنقذ من الإيمان، الترجمان في معاني الشعر، كتاب الإعراب ، عرائس المجالس، سعادة العرب ، أشعار أبي بكر الخوارزمي ، غريب شعر زيد الخيل الطائي ، أشعار الجواري ([٧])

وفيما يخص شعره فقد بين الشيخ الاميني " أن المصرّح به في معجمي الشعراء والأدباء للمرزباني والحموي، والوافي بالوفيات للصفدي: إن المترجم من المكثرين من الشعر، وذكر ابن النديم أن شعره في مائة ورقة، ويؤكده ما قاله النجاشي والعلامة من أن له شعراً كثيراً في أهل البيت (عليهم السلام)، وهو الذي يعطيه وصفهم له من أنه كان كاتباً شاعراً بصيراً بالغريب كما في (مروج الذهب)، ومن أنه من وجوه أهل اللغة والأدب، وقال أبو محمد ابن بشران: كان شاعر البصرة وأديبها، وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات وشعره مشهور، وكان أبو عبد الله الأكفاني راويته، وكتب لي بخطه من مليح شعره شيئاً كثيراً، وشعره كثير حسن "([٨])

وفيما يخص سنة وفاته فقد اختلفت الروايات التاريخية في ذلك الا انّ الراجح بين الدارسين انه توفي سنة (٣٢٧هـ)([٩]).

المبحث الاول :

المفجع البصري والنقد القديم

تعد شخصية المفجع البصري من الشخصيات المهمة التي دارت حولها قضايا نقدية مهمة في الدرس النقدي القديم ، ومن خلال قراءة اهم الملاحظات والآراء التي وردت في كتب الادب العربي القديم نستطيع ان نلخص تلك القضايا النقدية بما يلي :

اولا : النقد اللغوي

اهتم الدارسون القدامى بالجهود النقديّة واللغوية التي بذلها المفجع البصري في سبيل توضيح مفردة معينة او الوقوف على المعنى الشعري او شرح الغامض منها وكل ذلك يصب في خدمة المعنى الشعري لان من مهمات الناقد ان يوضح ويبين المعنى الذي ينشده الشاعر في قصيدته ومن الامثلة التي جاء بها الدارسون القدامى والتي تدلل على اهتمام المفجع البصري بشرح وتفسير المعاني ما اورده التوحيدي حول قول الشاعر :

قومٌ إذا آنسوا ضيفاً فلم يجدوا إلا دم الرأس صبوه على الباب

مستشهدا بقول المفجع : الرأس الرئيس (١٠).

ونجد التوحيدي يستشهد براي المفجع البصري ومن ثم ياخذ عليه موجها اياه نحو الاصوب جاء هذا في قوله :

" قال المفجع : اتهم الرجل فهو متهم ، من التهمة، وأتهم : أتى تهامة.

وقال أمعن في الأرض: أسرع، وأمعن بحقي: أتى به متبرعاً، وأذعن به: أقر به، واخترف الرجل فهو مخترف إذا اخترف من الكسب. وأنشد:

يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل أغدون يوماً وأمري مجمع

قال: مجمع، ولم يقل مجموع، كأنه أرد مجمع عليه؛ يقولون: أجمعت على الأمر، وأزمعت عليه.

غلط المفجع في هذا، يقال: أجمعت الأمر، وهو الفصيح، قال الله تعالى: "فأجمعوا أمركم" يونس : وأزمعه مسموع أيضاً" (١١).

ويبدو ان المفجع لم يخطأ هنا انما هو اختار الفصيح من الكلام وهناك من يرى ان الافصح هو (اجمعت الامر) ويعزز هذا ما اورده صاحب البحر المحيط من ان المعنى " فأجمعوا من أجمع الرجل الشيء عزم عليه ونواه ، وقال أبو قيد السدوسي: أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه. وقال أبو الهيثم: أجمع أمره جعله مجموعاً بعدما كان متفرقاً، قال: وتفرقته أنه يقول مرة أفعل كذا، ومرة أفعل كذا، فإذا عزم على أمر واحد قد جعله أي: جعله جميعاً، فهذا هو الأصل في الإجماع، ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى، فقيل: أجمعت على الأمر أي عزمت عليه، والأصل أجمعت الأمر انتهى. وعلى هذا القراءة

يكون وشركاءكم عطفاً على أمركم على حذف مضاف أي: وأمر شركائكم، أو على أمركم من غير مراعاة محذوف. لأنه يقال أيضاً: أجمعت شركائي، أو منصوباً بإضمار فعل أي: وادعوا شركاءكم، وذلك بناء على أنه لا يقال أجمعت شركائي يعني في الأكثر " (١٢)

لقد كشفت تلك الرواية التي اوردها المؤلف عن امكانية عاليه عند المفجع على تفسير الكلام وشرح الفروق الدقيقة فيه لغرض الوصول الى المعنى الدقيق .

ويعد موضوع التصحيف والتحريف من المواضيع اللغوية التي اهتم بها علماء النقد اللغوي قديما وكان للمفجع البصري دوره الواضح من خلال الملاحظات اللغوية التي نقلها اصحاب المؤلفات اللغوية والادبية ومن ذلك ما اورده صلاح الدين الصفدي في حديثه عن حرف الخاء المعجمة في قوله : " قرأ رجل يوماً على أبي عبد الله المفَجَّع:

ولمّا نزَلْنا منزِلاً طَلَّه النّدى أنيقاً وبُسْتاناً منَ النَّوْرِ خالِيا

فحرك المفجَّع كتفيه وقال: يا سيدَ أمِّه! فعلى أي شيء كنتم تشربون؟ على الخَسْف؟

قلت: يريد أنه قاله بالخاء المعجمة، وصوابه بالحاء المهملة "(١٣).

لقد كانت ملاحظة المفجع البصري دقيقة جدا فقد انتبه الى اثر التصحيف في تغيير المعنى الشعري وان مجيء المفردة بالخاء المعجمة كاد ان يذهب برونق المعنى الشعري لهذا تدارك عليه المفجع البصري قوله ليصحح له المعنى من خلال استبدال الخاء بالحاء ومن هنا يستقيم لديه المعنى وينسجم مع المراد الصحيح ولا شك ان تلك التفاته جيدة تحسب له.

ومن النماذج الاخرى التي اوردها صاحب الروض الانف والتي تتعلق بموضوع التصحيف والتحريف حديثه عن الخطأ الذي وقع فيه ابن دريد وكيف ان المفجع البصري تنبه الى التصحيف واخذ يصلحه في قوله : " أنشدنا أبو بكر بن دريد: وكان الخباء من أدم ،بخاء معجمة الأعلى، وهو خطأ وتصحيف، وإنما هو بالحاء المهملة، وهو معدود في تصحيفات ابن دريد، وفيه قول المفجع البصري رداً على ابن دريد :

ألست قدماً جعلت تعترق م الطّرف بجهلٍ مكان تغترق

وقلت: كان الخباء من أدمٍ وهو حباء يهدى، و يصطدق

وذلك أن مهلهلاً نزل في جنب، وهو حي وضيع من مذحج . فخطبت ابنته، فلم يستطع منعها، فزوجها، وكان نقدها من أدم ، فأنشد:

أنكحها فقدها الأراقم في جنبٍ، وكان الحباء من أدمٍ

لو بأبانين جاء خاطبها ضرّج ما أنف خاطبٍ بدم

وقوله : حتى تغيب الشمس بالرجاف، يعني: البحر. لأنه يرجف. ومن أسمائه أيضاً: خضارة، سمي بذلك لخضرة مائه. والدأماء سمي بذلك لتداؤم أمواجه أي: تراكمها، وتكسر بعضها على بعض "(١٤).

كشف هذا النص عن دور المفجع البصري في تصحيح وشرح معنى البيت الشعري وتقويم المعنى حتى ينسجم مع الغرض والمعنى الذي اراده الشاعر وان الرواية التي جاء بها ابن دريد تحتاج الى تقويم وتوجيه وهو ماقام به المفجع لأنه شعر ان تلك اللغة الشعرية تحتاج الى بيان وتوضيح وان الغموض قد اصابها وهو ما يؤثر سلبا على فهم السامع لها اذا هي بحاجة ال بيان وتوضيح .

ثانيا : اجادة المفجع البصري في الوصف

لاحظ الدارسون القدامى ان المفجّع البصري يمتاز في اجادته لغرض الوصف الشعري ، وضربوا لذلك امثلة كثيرة نذكر منها ما اورده السري الرفاء في حديثه عن الوصف الدقيق للخدود وقد اختار قول المفجع البصري :

ظَبيٌ إذا عَقْرب أَصداغَه رأيتَ ما لا تُحْسِنُ العقربُ

تُفاحُ خدَّيْه له نَضـرَةٌ كأنه من دَمْـعَتي يَشرَبُ ([١٥])

ولعلنا هنا نتذكر ان اجادة الوصف هي عمود من اعمدة الشعر العربي التي ركز عليها النقاد القدامى ومنذ القدم ([١٦])، فقد اجاد شاعرنا في وصفه للخدد وتكمن تلك الاجادة في الصورة الفنية المبتكرة التي اعجبت الدارسين القدامى فقد وصف الشاعر نضارة وجمال تلك الخدود وان ذلك الجمال ما كان له ان يكون الا بدموع الشاعر التي سقت الخدود وهي صورة فنية مركبة استطاع من خلالها ان يعبر عن مدى حزنه وشوقه للمحبوب مستعينا بأسلوب التشبيه لخلق الصورة الفنية .

ثالثا : منزلته الشعرية :

احتل المفجع البصري منزلة شعرية مهمة بين النقاد القدامى وجاءت تلك المنزلة من خلال الاعجاب الشديد بالقصائد الشعرية التي كتبها ومما لاشك فيه ان الذائقة النقدية التي تمتع بها العلماء هي ذائقة فنية تستحق التقدير لأنها نابعة من ذوق فني رفيع كان يتأمل الشعر ومن ثم يسجل اعجابه بالقصائد ومن الامثلة على ذلك قول القفطي في شعره :

"وكان شاعر البصرة وأديبها، وكان يجلس في الجامع بالبصرة، فيُكتَب عنه ويُقرَأ عليه الشعر واللغة والمصنفات، وامتنع من الجلوس مدة لسبب لحِقَهُ من بعض من حضره، فخُوطب في ذلك فقال: "لو استطعت أن أُنسيهم أسماءهم لفعلت" وشعره مشهور، فمنه وقد دامت الأمطار وقطعت عن الحركة، قوله :

يا خالق الخلق أَجمعينا وواهب المال والبنينا

ورافعَ السَّبْعِ فوق سَبْع لم تستعن فيهما مُعينا

ومن إذا قال: كُنْ لشيءٍ لم تقع النون أو يكونا

لا تسقِنا العام صوب غيثٍ أكثر من ذا فقد رَوينا "([١٧])

لقد اعجب النقاد بأسلوب الشاعر في صياغة افكاره والتعبير عن الاحداث بطريقة فنية جميلة تبعث في النفس الدهشة وتبين قدرة الشاعر الفنية على رسم الصورة الشعرية ونقل الحدث بأسلوب كله متعة فنية تنم عن التمكن من اللغة الشعرية ومن ثم تحويل المفردة الى جمل شعرية ، فالشاعر نجح في وصف الحادثة التي حصلت ولخصها بأسلوب القصة الشعرية موظفا التقنيات الفنية واضاف الى ذلك عنصر المتعة الفنية ، وهذا الامر دفع القفطي الى القول : "وديوانه كثير الحلاوة، ويكاد يقطر منه ماء الظَّرْفِ"([١٨])

اما المسعودي فقد وصفه بقوله : " وكان كاتباً شاعراً بصيراً بالغريب، وهو صاحب الباهلي المصري الذي كان يناقض ابن درَيد ، فمما جَوَّدَ فيه المفجع قوله :

ألا طرب الفؤاد إلى رُدَيْنِ ودون مزارها ذو الجهلتين
ألَمَّ خَيَالها وَهْناً برحْلي فولّى رعية الشرطين عيني "([١٩])

رابعا: الموازنة الشعرية

تعد قضية الموازنة بين الشعراء من القضايا النقدية الكبرى التي ادت دورا كبيرا في تاريخ النقد الادبي القديم ، وكان لها الفضل في الكشف عن المعاني الشعرية وبيان جودة الشعر ولجا اليها النقاد لبيان افضلية شاعر على غيره وقد وضعوا لها ضوابط وسمات حتى تتحقق من خلالها الاحكام النقدية الصائبة ومن الامثلة على الموازنة ما اورده صاحب غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات في قوله :

" وكتب المفجع البصري إلى غلامه أبي سعيد، وقد أهدى له طبقاً فيه أترج ونارنج وقصب سكر:

إنَّ شيطانك في الظر فِ لشيطانٌ مريدُ
فلهذا أنتَ فيه تبتدي ثمَّ تعيدُ
قد أتتنا تحفةٌ من كَ على الحسنِ تزيدُ
طبق فيه نهودٌ وخدودٌ وقدودُ

ومثل هذه القطعة قول أبي عبد الله بن الطوبى الصقلي:

جاءني من عند سعدِ طبقٌ لي فيه سعدُ
فيه راحٌ حولها آ سٌ وتفاحٌ وورْدُ
قلتُ أهدى لي فيهِ ملحاً ليستْ تحدُّ
ذي رضابٌ ونهودٌ وعذارانِ وخدُّ

ومن أحسن ما قيل في النارنجِ قول ابن وكيع:

ألا سقني الراحَ في جنةٍ طرائفُ أثمارها تزهرُ

كأنَّ تماثيلَ نارنجها إذا ما تأملهُ المبصرُ
دبابيسُ من ذهبٍ زانها مقابضُ كيمختها أخضرُ "([٢٠])

نلاحظ ان الناقد قد وازن بين ثلاثة شعراء في غرض شعري هو وصف (النارنجِ) مقدما ابيات المفجع البصري على غيره من الشعراء الا ان المتأمل في تلك الابيات يلاحظ ان الشعراء الثلاثة قد اجادوا في الوصف وان لكل واحد منهم اسلوبه الشعري والذي شجع على مثل هذه الموازنة هو وحدة الموضوع الذي كتب فيه الشعراء .

المبحث الثاني :

المفجع البصري والنقد الحديث

لم يقتصر الاهتمام بشخصية المفجع البصري على النقد العربي القديم انما امتد الى عصرنا الحاضر فقد تصدى بعض الباحثين المحدثين لدراسة جهود تلك الشخصية لاسيما ديوان شعره وما اشتمل عليه من فنون مهمة لعل ابرزها قصيدته المسماة بالاشباه والتي يتحدث فيها عن صفات الامام علي عليه السلام وانه يشبه الانبياء في خصال كثيرة ولعل اقتران تلك القصيدة بشخصية عظيمة مثل شخصية الامام علي كان السر وراء خلود تلك القصيدة على الرغم من وجود سلطة حاكمة معادية لاهل البيت الا انها لم تستطع القضاء على التراث الفكري المحب لاهل البيت المتمثل بالقصائد التي تتغنى بحب آل البيت سلام الله عليهم .

اما عن اهم المسائل النقدية التي اثارها الدارسون المحدثون فيمكن ان نلخصها بما يلي :

اولا : مرجعيات المفجع البصري الثقافية

انتبه الدارسون المحدثون الى المرجعيات الثقافية التي استند اليها المفجع البصري والتي شكلت رصيده المعرفي وكان لها اثر فعال في النتاج الذي تركه المفجه وقد كان نتاجا معرفيا منوعا ويمتاز بالخصب والاهمية لان بعض هذا النتاج مرتبط بخدمة النص القراني من خلال المعرفة الواعية بأسرار اللغة العربية والمعاني التي تنطوي عليها فقد لاحظ الدارسون المحدثون ومنهم عبد الرسول الغفار الذي رأى ان حياه شاعر أهل البيت (عليهم السلام) المفجّع البصرى هى عباره عن رحله شاقه مع الألم والمعاناه وشأنه شأن الكثيرين من شعراء أهل البيت فى وقوفهم إلى جانب الحق وتصدّيهم للسلطات الجائره حتى اختتمت حياته بالشهاده ، لكن الذى ميّز هذا الشاعر هو الغبن الذى لاقاه فى حياته وبعد مماته فقد سلبته يد الكتاب والمؤرخين والمحرّفين حتى لقبه الذى صنعه بولائه وعقيدته فحاولوا تحريفه ([٢١]) من هنا تصدى الباحث الى جمع وتحقيق اشعاره لكي يطلع العالم على تلك القصائد التي تغنت بامجاد

اهل البيت عليهم السلام وقد لخص محقق الديوان اهم المصادر الثقافية التي اثرت في النتاج الشعري بما يلي :

تدبر الشاعر للقران الكريم وتمثله لمقاصد الايات ومعانيها واستيعابه لمضامين الاحاديث النبوية الشريفة ونصيبه الكبير في حفظها ، فضلا عن اطلاعه على التاريخ الاسلامي ووقوفه على غريب مفردات اللغة العربية وادابها ومعرفته بالاماكن والبلدان (٢٢)

ومن الجدير بالذكر ان الكاتب تنبه الى مسالة مهمة وهي اثر بيئة البصره في النتاج الذي خلفه المفجع فقد لاحظ الباحث ان البصرة فى ذلك الوقت من المدن العلميه الإسلاميه الكبيره حيث ازدهرت بعلومها المختلفه منذ منتصف القرن الثانى وحتى أواخر القرن الرابع وقد برز فيها الأفذاذ من العلماء والفقهاء والأدباء الكبار، وكان المفجّع أبرز من ظهر فى تلك الفتره لشموليه ثقافاته المتعدده وأدبه الواسع وعلمه الجم(٢٣).

فالباحث هنا نبّه الى اثر البيئة في النتاج العلمي والثقافي والادبي ولاشك ان بيئة مثل البصرة جديرة ان يتخرج منها العلماء والشعراء فهي سبّاقة في النتاج العلمي وفي الابتكار في مجال الفنون خاصة اذا عرفنا انها انتجت العباقرة ومنهم الخليل بن احمد الفراهيدي .

ثانيا : اجادة الشاعر لغرض المديح

لاحظ اغلب الدارسين في العصر الحديث ان المفجع البصري شاعر كبير يجيد فن المديح لاسيما مديحه للإمام علي عليه السلام هذا المديح ورد في قصيدته العصماء والمعروفة بالأشباه فقد دست هذه القصيدة من قبل الباحث حسين الوطيفي متناولا الجوانب الفنية المهمة فضلا عن الجوانب الموضوعية ومنها ان الشاعر قد بنى قصيدته على مبدا التشابه الذي استقصى من خلاله جميع التشابهات بين الامام علي عليه السلام والانبياء بدءا من النبي آدم عليه السلام في صفة العلم استنادا الى قوله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)(٢٤) فهو يعلم الاسماء ما ظهر منها ومابطن ، وهكذا كان الامام علي عليه السلام لما علمه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ففاق غيره (٢٥)

فالباحث الكريم تأمل كثيرا في قصيدة الشاعر المفجع البصري ليخرج لنا براي نقدي مفاده ان الشاعر تجنب اتباع انماط البناء التقليدي للقصيدة العربية التي كانت تبدا بمقدمة طللية والرحلة ومن ثم الغرض الشعري (٢٦).

بين الباحث ان قصيدة الشاعر تمتاز بالتماسك الفني وقد امتازت اشعاره بالوحدة الموضوعية والانسجام على مستوى النص فضلا عن اعتماد الشاعر على اسلوب الحجاج الفكري فالشاعر المفجع

البصري يعمد الى توظيف الفكر في القصيدة مما يبعد عنها هيمنة العاطفة لان السياق العام قائم على الجدل الفكري ([٢٧]) .

لقد لاحظ الباحث ان شعر المفجع البصري يمتاز باستعمال الشاعر في احكام قصيدته مبدأ تداعي المعاني الذي يمهد بذكر كلمة او شخصية الى ذكر غيرها ثم ينتقل الى التفصيل فيها ، فضلا عن اعتماد الشاعر على الاسلوب الاخباري أي عرض اخبار الماضين والذي تطلب من الشاعر الدقة والتحري والبحث عن المشهور من الاخبار والغاية هي اقامة الحجة القاطعة على الخصم .

ثالثا : الاثر القرآني في شعر المفجع البصري

التفت بعض الدارسين المحدثين الى الاثر القرآني الذي اشتمل عليه شعر المفجع البصري ، وقد جاء هذا الاثر نتيجة لاهتمام المفجع بالنص القرآني فقد ذكرت اغلب المصادر انه كان عالما من علماء اللغة الذين يشار لهم بالبنان والمؤلفات التي تركها المفجع تشهد بذلك ، فليس غريبا ان يتاثر المفجع بالقرآن الكريم وان يظهر هذا الاثر في اشعاره ومن تلك الدراسات الدراسة التي كتبها الدكتور محمد حسين المهداوي والدكتور حسن حبيب والدكتور حازم علاوي وعنوانها (اثر القران الكريم في شعر المفجّع البصري) لقد اثر القران الكريم في لغة المفجّع البصري الشعرية وخاصة المفردات القرآنية التي استعملها الشاعر فقد لاحظ الدارسون ان الشاعر يسير في شعره على نهج اسلافه من الشعراء الاسلاميين في بداية الدعوة الاسلامية من امثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الذين تمثلوا بأسلوب القران وتشربوا ما ينضح به من فصاحة وبيان ([٢٨])

لقد اظهرت الدراسة ان المفجع البصري تأثر كثيرا بالنص القرآني فخذ يقتبس منه في اشعاره سواء في المعاني ام الالفاظ حتى تجلت بلاغة القرآن في اشعاره لأنه وجد ان القرآن الكريم هو اساس العلوم البيانية والبلاغية ، وقد داب المفجع البصري في الاعتماد على مخزونه اللغوي الذي نبع من ثقافته على خلق التراكيب اللغوية الجديدة التي تلائم حجم التغيير الذي احدثه القرآن الكريم في النفوس والعقول ، فكان نتاج ذلك اقتباسه من الفاظه ومعانيه والتأثر بأسلوبه المعجز ([٢٩])

لقد اشارت الدراسة الى مسالة الاقتباس القرآني واثره في شعر المفجع البصري اذ ركز الشاعر على الفاظ العبادة التي استعملها ضمن معجمه الشعري وقد استعملت هذه الالفاظ ضمن حديث الشاعر عن معجزة الامام علي عليه السلام في رد الشمس حيث استخلص الشاعر العبر منها ليعبر عما موجود لهذه الشخصية من مقام عند الله عز وجل([٣٠])

فضلا عن هذا نبهت الدراسة الى منزلة القصص القرآني في شعر المفجع البصري فقد حاول الشاعر ان يوظف القصص القرآني في شعره من خلال تكثيف المعنى داخل البيت الواحد واجتماع المعاني عنده

يعنى اجتماع الصفات المكونة لشخصية الممدوح والمقصود به الامام علي عليه السلام في قصيدة الاشباه التي تمثل مركز الثقل لاستعمالات الشاعر للقصص القرآني ، حتى عده اصحاب الفنون والآداب ملاك الادب وغاية البلاغة ([٣١])

واخيرا اظهرت الدراسة ان الهوية الدينية والمذهبية كانت ماثلة في شعر الشاعر والشخصيه الاسلامية هي الغالبة والامر راجع الى حياة الشاعر وطريقة تربيته والبيئة التي نشا فيها خاصة اذا علمنا ان بيئة البصرة بيئة ثرية ومعطاء خرجت العلماء والمبدعين والمفرين الذين تركوا اثارا طيبة يفتخر بها الجيل الى يومنا هذا.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة العلمية الممتعة مع المفجع البصري وآراء القدامى والمحدثين في شعره نود ان نسجل اهم ما توصلت اليه الدراسة وكما يلي :

بينت الدراسة ان شخصية المفجع البصري شخصية مكتنزة بالعلم والعطاء وظهر ذلك من خلال الآراء العلمية التي اثارها الدارسون له سواء في القديم ام الحديث وان اغلب تلك الآراء كانت تنصب حول الابداع العلمي والعطاء الذي تركه المفجع البصري المتمثل بأشعاره الفنية التي تناولت مختلف المواضيع لاسيما غرض المديح والوصف ، فقد كشفت الدراسة اجادة الشاعر ايما اجادة وان تلك الخصائص الفنية لفتت الانتباه حتى مر عليها الدارسون واشاروا اليها تحت عنوان الابداع والفن .

كشفت الدراسة عن الحركة النقدية التي تولدت حول شخصية المفجع البصري لتناقش مجموعة قضايا نقدية مهمة منها جودة الشعر وقضية الموازنة والمنزلة الشعرية التي امتاز بها والتي ميزته عن اقرانه من الشعراء فقد برع الشاعر دقة التعبير عن المعنى بطريقة الابتكار وايجاد المعاني الجديدة التي لم يسبق اليها .

اظهرت الدراسة ومن خلال النقد اللغوي الذي مارسه المفجع البصري عن حرصه التام على سلامة اللغة لأنها لغة القران الكريم من هنا وجد البحث امكانية المفجع في حفظ المعاني الغريبة ومعرفته الكبيرة بالأماكن والبلدان فضلا عن التأثر بالنص القرآني وبصور واشكال مختلفة بحسب توظيفه للنص القرآني وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- ينظر : معجم الادباء ، ياقوت الحموي : ٢٣٣٦/٥

٢ – الغدير: ٣٦١/٣

٣ – ينظر : المفجّع البصري شاعر البصرة وأديبها :٣

٤ – قصيدة الاشباه للشاعر المفجع البصري (ت٣٢٧هـ) دراسة تحليلية : ١٦٣

٥ – ينظر : الفهرست :١٢٣ ، ومعجم الادباء :١٩٠/١٧، والمحمدون من الشعراء : ٣٠

٦ – ينظر المحمدون من الشعراء :٣١، والاعلام للزركلي :٣٠٨/٥

٧ – ينظر : الفهرست : ١٢٥

٨ – الغدير : ٣ / ٣٦١

٩ – ينظر : معجم الادباء :٢٣٤٠/٥

١٠ – ينظر الامتاع والمؤانسة : ٣٠٩/١

١١ – البصائر والذخائر :٢٣٤/٦

١٢ – البحر المحيط : ٤٠٤/٧

١٣ – تصحيح التصحيف وتحرير التحريف :٢٣٨/١

١٤ – الروض الانف :٢٠٤/١

١٥ – ينظر : المحب والمحبوب والمشموم والمشروب :١٠/١

١٦ – ينظر : شرح ديوان الحماسة ، المقدمة : ١٨/١

١٧ – المحمدون من الشعراء واشعارهم :٤/١

١٨ – المصدر نفسه

١٩ – مروج الذهب :٢٣٠/٤

٢٠ – غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : ٢٣٠

٢١ – ينظر : شاعرالعقيدة المفجع البصري : ١١

٢٢ – ينظر : المصدر نفسه :١٨

٢٣ – المصدر نفسه

٢٤ – سورة البقرة الاية ٣١

٢٥ – ينظر : قصيدة الاشباه للشاعر المفجع البصري (ت٣٢٧هـ) دراسة تحليلية : ١٦٥

٢٦ – ينظر : المصدر نفسه : ١٨٣ ، وبناء القصيدة في النقد العربي القديم : ٢٨

٢٧ – ينظر : قصيدة الاشباه للشاعر المفجع البصري (ت٣٢٧هـ) دراسة تحليلية : ١٨٥

٢٨ – ينظر : اثر الاسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي :١١٢

٢٩ – ينظر : اثر القرآن الكريم في شعر المفجع البصري (٣٢٨هـ) :٨

٣٠ – ينظر : اثر القرآن الكريم في شعر المفجع البصري (٣٢٨هـ) :١٦

٣١ – ينظر الفن القصصي في القران الكريم :٢٣٨

المصادر:

خير ما نبدأ به القران الكريم:

١– اثر الاسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي ، احمد شاكر غضيب ، اطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد ، ١٤١٠هـ –١٩٨٩م.

٢– اثر القرآن الكريم في شعر المفجع البصري (٣٢٨هـ)، د. محمد حسين عبد الله واخرون ، بحث منشور على موقع الباحث ، ٢٠١١م

٣– الاعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء المستعربين والمستشرقين خير الدين الزركلي ، كوستاتوماس ، القاهرة ، مصر ،ط٢،د.ت .

٤– الامتاع والمؤانسة ، ابو حيان التوحيدي ، تحقيق : هيثم خليفة الطعيمي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤م.

٥– البحر المحيط في التفسير، ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر بيروت ، ١٤٢٠هـ .

٦– البصائر والذخائر ، ابو حيان التوحيدي ، تحقيق : د. وداد القاضي ،دار صادر – بيروت ، ط١،١٩٨٨م.

٧– بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)،د. يوسف حسين بكار ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ،ط٢، ١٩٨٥م.

٨– تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط١، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٩– الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ) ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

١٠– شاعر العقيدة المفجع البصري (محمد بن احمد بن عبد الله (ت٣٢٧هـ))، جمعه وحققه وعلق عليه : عبد الرسول الغفار ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١١– شرح ديوان الحماسة ، لابي علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق : احمد امين وعبد السلام هارون ، دار الجيل – بيروت ،ط١، ١٩٩١م.

١٢– الغدير في الكتاب والسنة والادب ، الاميني (عبد الحسن بن احمد ١٣٩٠هـ)، الزهراء – النجف،١٣٦٩هـ .

١٣- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، علي بن ظافر الأزدي المصري (ت ٦١٣هـ) ، تحقيق: دكتور محمد زغلول سلام، دكتور مصطفى الصاوي الجويني ، الناشر: دار المعارف، القاهرة ،ط١،١٩٨٣م.

١٤- الفن القصصي في القران الكريم ، د. محمد احمد خلف الله ،عرض وتحليل خليل عبد الكريم ، مكتبه الانكلو المصرية ، القاهرة ومؤسسة الانتشار العربي ،ط١٩٩٩،٤م .

١٥- الفهرست ، ابن النديم (ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب ت٣٨٠هـ) ضبط وشرح د. يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢،١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .

١٦- قصيدة الاشباه للشاعر المفجع البصري (ت٣٢٧هـ) دراسة تحليلية ، د. حسين عبد حسين الوطيفي، مجلة اللغة العربية وادابها ، المجلد ١ ، العدد١٧، ٢٠١٣م .

١٧- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء (ت ٣٦٢هـ) ، تحقيق : ماجد حسن الذهبي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٨- المحمدون من الشعراء واشعارهم ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي ، حققه وقم له ووضع فهارسه: حسن معمري ، دار اليمامة – السعودية ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .

١٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي)ن تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة ، مصر ،ط٢، ١٩٥٨م.

٢٠- معجم الادباء ،الحموي(ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت٦٢٦هـ)، تحقيق ، د. احمد فريد الرفاعي ، دار المأمون – مصر ،د.ت

٢١- المفجّع البصري شاعر البصرة وأديبها ، محمد طاهر الصفار ، مقال منشور على موقع العتبة الحسينية المقدسة ، ٢٠١٩م.